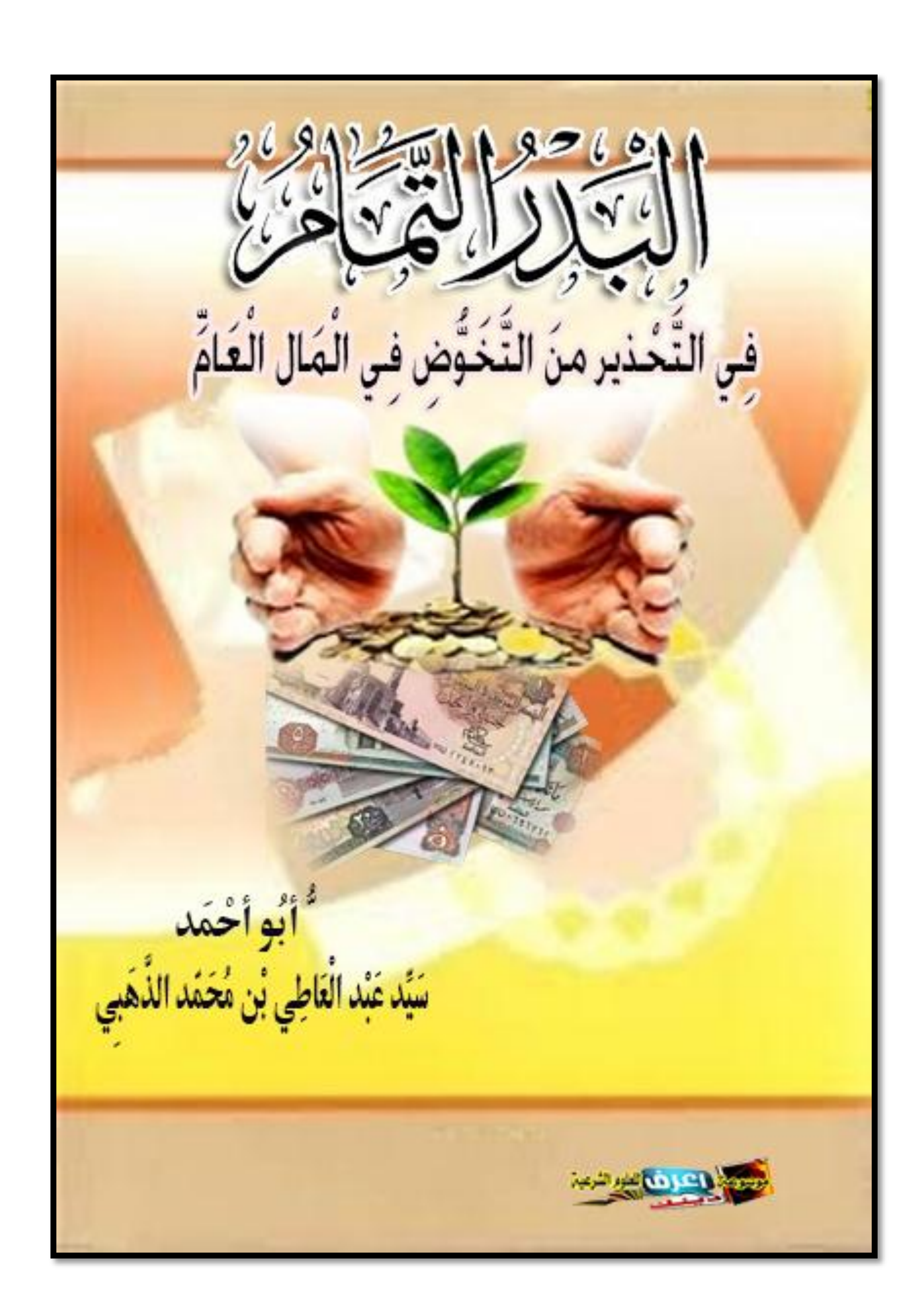

البدر التمام
في التحذير من التخوض في المال العام
أبو أحمد
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّخَوُّضِ فِي الْمَالِ الْعَامِّ



أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ

مع تحيات



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ جَلَّ وَعَلَا ذِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا،وَأصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى،وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اهْتَدَى.

أمَّا بَعْدُ:

•فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإيَّاكَ–أنَّ شَرِيعَةَ الْإسْلَامِ مَحَاسِنٌ كُلُّهَا،وَمَصَالِحٌ كُلُّهَا،وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا،وَعَدْلٌ وَإنْصَافٌ كُلُّهَا،

وَمِنْ مَحَاسِنِهَا الْحِفَاظُ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ اللَّازِمَةِ وَالَّتِي لَابُدَّ مِنْ تَحْصِيلِهَا لِكَيْ يَقُومَ صَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا،لأجْلِ إسْعَادِ الْإنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

–وَهِيَ:الدِّينُ، وَالنَّفْسُ، وَالْعَقْلُ، وَالنَّسْلُ(الْعِرْضُ) ، وَالْمَالُ.

–وَفِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُخْتَصَرَةِ الَّتِي عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ

{الْبَدْرُ التَّمَامُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّخَوُّضِ فِي الْمَالِ الْعَامّ} بَيَانُ خُطُورَةِ التَّخَوُّضِ فِي الْمَالِ الْعَامِّ،هَذَا وَقَدْ حَانَ أوَانُ الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:



•أوَّلًا:تَعْرِيفُ الْمَالِ الْعَامّ:

–الْمَالُ الْعَامُّ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا تَمْلِكُهُ وَتُدِيرُهُ الدَّوْلَةُ لِلمَنْفَعَةِ الْعَامَّةِ وَالْمَعْرُوفُ فِي الْإسْلَامِ بِ(بَيْتِ الْمَالِ) جاءَ تَعْرِيفُهُ فِي الْمَوْسُوعَةِ الْفِقْهِيَّةِ:{بَيْتُ الْمَالِ هُوَ الْجِهَةُ الَّتِي يُسْنَدُ إلَيْهَا حِفْظُ الْأمْوَالِ الْعَامَّةِ لِلدَّوْلَةِ، وَالْمَالُ الْعَامُّ هُوَ كُلُّ مَالٍ اسْتَحَقَّهُ الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ يَتَعَيَّنْ مَالِكُهُ

مِنْهُمْ، وَذَلِكَ كَالزَّكَاةِ، وَالْفَيءِ، وَخُمْسِ الْغَنَائِمِ الْمَنْقُولَةِ،وَخُمْسِ الخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْمَعَادِنِ

، وَخُمْسِ الرِّكَازِ، وَالْهَدَايَا الَّتِي تُقَدَّمُ إِلَى الْقُضَاةِ، أَوْ عُمَّالِ الدَّوْلَةِ مِمَّا يَحْمِلُ شُبْهَةَ الرِّشْوَةِ أَوِ الْمُحَابَاةِ، وَكَذَلِكَ الضَّرَائِب الْمُوَظَّفَة عَلَى الرَّعِيَّةِ لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَمَوَارِيث مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِلَا وَارِثٍ، وَالْغَرَامَات، وَالْمُصَادَرَات. وَيَقُومُ بَيْتُ الْمَالِ بِصَرْفِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ فِي مَصَارِفِهَا كُلٌّ بِحَسَبِهِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ سِجِلٌّ هُوَ دِيوَانُ بَيْتِ الْمَالِ لِضَبْطِ مَا يَرِدُ إِلَيْهِ وَمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ أَمْوَالٍ، وَلِضَبْطِ مَصَارِفِهَا كَذَلِكَ}. اهـ



•ثَانِيًا:حِفْظِ الْمَالِ فِي الْقُرْآنِ:

•مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَالِكَ الْحَقِيقِيَّ لأَعْيَانِ الْمَالِ سَوَاء كَانَ الْمَالُ خَاصًّا أَوْ عَامًّا هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}.(البقرة:٢٩).

أَيْ:خلق لَكُمْ،بِرًّا بِكُمْ وَرَحْمَةً،جَمِيعَ مَا عَلَى الْأَرْضِ، للانْتِفَاعِ وَالاسْتِمْتَاعِ وَالاعْتِبَارِ.ثُمَّ قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَالاسْتِوَاءُ هَاهُنَا تَضَمَّنَ مَعْنَى الْقَصْدِ وَالْإِقْبَالِ؛لأَنَّهُ عُدِّيَ بِإِلَى{فَسَوَّاهُنَّ} أَيْ:فَخَلَقَ السَّمَاءَ سَبْعًا ، وَالسَّمَاءُ هَاهُنَا اسْمُ جِنْس ، فَلِهَذَا قَالَ :{فَسَوَّاهُنَّ} .{وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلَيمٌ} أَيْ:وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ .وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}.(الحديد:٧).فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَبِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَاسْتَخْلَفَهُمْ عَلَيْهَا، لِيَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِذَلِك، رَغَّبَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَيْهِ بِذِكْرِ مَا رَتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ، فَقَالَ:

{فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنْفَقُوا} أيْ: جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ، أَعْظَمُهُ وَأَجَلُّهُ رِضَا رَبِّهِمْ، وَالْفَوْزُ بِدَارِ كَرَامَتِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلمُؤمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

•مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ شَرَعَ الْإِسْلَامُ جُمْلَةً مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تَضْمَنُ حِفْظَ الْمَالِ وَاسْتِمْرَارَهُ وَمِنْهَا: (أ)ضَبَطَ الْإِسْلَامُ التَّصَرُّفَ فِي الْمَالِ بِحُدُودِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ حَرَّمَ اكْتِسَابَ الْمَالِ بِالْوَسَائِلِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ، وَالَّتِي تَضُرُّ بِالْآخَرِينَ، وَمِنْهَا: الرِّبَا؛ لِمَا لَهُ مِنْ آثَارٍ تُخِلُّ بِالتَّوَازُنِ الاجْتِمَاعِيِّ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.(البقرة:٢٧٥)، وقالَ تَعَالَى:{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }.(البقرة:١٨٨).

(ب)كَمَا حَرَّمَ الْإِسْلَامُ الاعْتِدَاءَ عَلَى مَالِ الْغَيْرِ بِالسَّرِقَةِ، أوِ السَّطْوِ، أوِ التَّحَايُلِ، وَشَرَعَ الْعُقُوبَةَ عَلَى ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَى : {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.(المائدة:٣٨).

(ج)مَنَعَ الْإِسْلَامُ إِنْفَاقَ الْمَالِ فِي الْوُجُوهِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ، وَحَثَّ عَلَى إِنْفَاقِهِ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ، وَذَلِكَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَةٍ مِنْ أَهَمِّ قَوَاعِدِ النِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَهِيَ أَنَّ الْمَالَ مَالُ اللهِ، وَأَنَّ الْفَرْدَ مُسْتَخْلَفٌ فِيهِ وَوَكِيلٌ؛ قَالَ تَعَالَى :{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}.(الحديد:٧)،وَقَالَ تَعَالَى:{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(النُّور: ٣٣).وَمِنْ ثَمَّ كَانَ عَلَى صَاحِبِ

الْمَالِ أنَّ يَتصَرَّفَ فِي مَالِهِ فِي حُدُودِ مَا رَسَمَهُ لَهُ الشرْعُ، فَلَا يَجُوزُ أنْ يُفْتَنَ بِالْمَالِ، فَيَطْغَى بِسَبَبِهِ؛ لأنَّ ذَلِكَ عَامِلُ فَسَادٍ وَدَمَار؛ قَالَ تَعَالَى : {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}. (الإسراء:١٦)

.وَلَا يَجُوزُ لَهُ أنْ يُبَذِّرَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ؛ قَالَ تَعَالَى:{وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا(٢٦)إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}.(الإسراء:٢٦ –٢٧).

(د)سَنَّ الْإِسْلَامُ التَّشْرِيعَات الْكَفِيلَةَ بِحِفْظِ أمْوَالِ الْقُصَّرِ، وَالَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ التَّصَرُّفَ فِي أمْوَالِهِمْ مِنْ يَتَامَى وَصِغَار، حَتَّى يَبْلُغُوا سِنَّ الرُّشْدِ، وَمِنْ هُنَا شَرَعَ تَنْصِيبَ الْوَصِيِّ عَلَيْهِ؛ قَالَ تَعَالَى:{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}.(النِّساء:٦).وَقَالَ تَعَالَى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.(البقرة: ٢٢٠).،وَمِنْ ذَلِكَ الْحَجْرُ عَلَى الْبَالِغِ إذَا كَانَ سَيِّءَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ؛ قَالَ تَعَالَى :{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}.(النِّساء:٥).

(ه)تَنْظِيمُ التَّعَامُلِ الْمَالِيِّ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الرِّضَا وَالْعَدْلِ، وَمِنْ ثَمَّ قَرَّرَ الْإِسْلَامُ أنَّ الْعُقُودَ لَا تَمْضِي عَلَى الْمُتَعَاقِدِينَ، إِلَّا إذَا كَانَتْ عَنْ تَرَاضٍ وَعَدْلٍ؛ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْقِمَارَ؛ قَالَ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.(النِّساء:٢٩).وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(المائدة:٩٠).فَقَوْلُهُ{وَالْمَيْسِرُ}:الْمَيْسِرُ: هُوَ الْقِمَارُ مِنْ قَوْلِهِمْ: يَسَرَ، إِذَا ضَرَبَ بِالْقِدَاحِ، وَأَصْلُ (يَسَرَ): يَدُلُّ عَلَى انْفِتَاحِ شَيءٍ وَخِفَّتِهِ،وَذَلِكَ يَشْمَلُ الْمُرَاهَنَاتِ

وَنَحْوَهَا، مِمَّا فِيهِ عِوَضٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ،وَهُوَ مُنْكَرٌ،وَحَرَّمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا فِيهِ مِنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ.

(و)الدَّعْوَةُ إِلَى تَنْمِيَةِ الْمَالِ وَاسْتِثْمَارِهِ؛ حَتَّى يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ الاجْتِمَاعِيَّةَ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ حَبْسَ الْأَمْوَالِ عَنِ التَّدَاوُلِ، وَحَارَبَ ظَاهِرَةَ الْكَنْزِ؛ قَالَ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤)يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ}.(التَّوبة: ٣٤-٣٥).

-وَبِهَذِهِ التَّشْرِيعَاتِ كُلِّهَا حَفِظَ الْإِسْلَامُ الْمَالَ وَصَانَهُ عَنِ الْفَسَادِ؛ حَتَّى يُؤَدِّيَ دَوْرَهُ كَقِيمَةٍ لَا غِنَى عَنْهَا فِي حِفْظِ نِظَامِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا الْحَضَارِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ،شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ كُلِّ الْمَصَالِحِ السَّابِقَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ أَسَاسَ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ،وَقِوَام الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَرْكَزِ الْحَضَارَةِ الْبَشَرِيَّةِ،وَالَّتِي دُونَ مُرَاعَاتِهَا وَحِفْظِ نِظَامِهَا يَخْرَبُ الْعَالَمُ، وَتَسْتَحِيلُ الْحَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَيَقِفُ عَطَاؤُهَا وَاسْتِثْمَارُهَا فِي هَذَا الْوُجُودِ.

•وَحَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْخِيَانَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِلأَمَانَاتِ وَالَّتِي مِنْهَا الْمَالُ الْعَامُّ فَقَالَ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}.(الأنفال:٢٧).فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤَدُّوا مَا ائْتَمَنَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَإِنَّ الْأَمَانَةَ قَدْ عَرَضَهَا اللهُ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا فَمَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ اسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّهَا بَلْ خَانَهَا اسْتَحَقَّ الْعِقَابَ الْوَبِيلَ، وَصَارَ خَائِنًا للهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِأَمَانَتِهِ، مُنْتَقِصًا لِنَفْسِهِ بِكَوْنِهِ اتَّصَفَتْ نَفْسُهُ بِأَخَسِّ الصِّفَاتِ، وَأَقْبَحِ الشِّيَاتِ، وَهِيَ الْخِيَانَةُ مُفَوِّتًا لَهَا أَكْمَلَ الصِّفَاتِ وَأَتَمَّهَا، وَهِيَ الْأَمَانَةُ.وَقَالَ تَعَالَى:{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.(آل عمران: ١٦١).قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{الْغُلُولُ هُوَ:الْكِتْمَانُ مِنَ الْغَنِيمَةِ،وَالْخِيَانَةُ

فِي كُلِّ مَالٍ يَتَوَلَّاهُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ إِجْمَاعًا، بَلْ هُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَغَيْرُهَا مِنَ النُّصُوصِ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَا يَنْبَغِي وَلَا يَلِيقُ بِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ،لأَنَّ الْغُلُولَ–كَمَا عَلِمْتَ–مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَشَرِّ الْعُيُوبِ.

وَقَدْ صَانَ اللهُ تَعَالَى أَنْبِيَاءَهُ عَنْ كُلِّ مَا يُدَنِّسُهُمْ وَيَقْدَحُ فِيهِمْ، وَجَعَلَهُمْ أَفْضَلَ الْعَالَمِينَ أَخْلَاقًا، وَأَطْهَرَهُمْ نُفُوسًا، وَأَزْكَاهُمْ وَأَطْيَبَهُمْ، وَنَزَّهَهُمْ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَجَعَلَهُمْ مَحَلَّ رِسَالَتِهِ، وَمَعْدِنَ حِكْمَتِهِ {اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}. فَبِمُجَرَّدِ عِلْمِ الْعَبْدِ بِالْوَاحِدِ مِنْهُمْ، يَجْزِمُ بِسَلَامَتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَقْدَحُ فِيهِمْ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ عَلَى مَا قِيلَ فِيهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، لأَنَّ مَعْرِفَتَهُ بِنُبُوَّتِهِمْ، مُسْتَلْزِمٌ لِدَفْعِ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ أَتَى بِصِيغَةٍ يَمْتَنِعُ مَعَهَا وُجُودُ الْفِعْلِ مِنْهُمْ، فَقَالَ:{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} أَيْ: يَمْتَنِعُ ذَلِكَ وَيَسْتَحِيلُ عَلَى مَنِ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِنُبُوَّتِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ الْوَعِيدَ عَلَى مَنْ غَلَّ،فَقَالَ:{وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أَيْ: يَأْتِ بِهِ حَامِلهُ عَلَى ظَهْرِهِ، حَيوانًا كَانَ أَوْ مَتَاعًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، لِيُعَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،{ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ} الْغَالُّ وَغَيْرُهُ،كُلٌّ يُوَفَّى أَجْرَهُ وَوِزْرَهُ عَلَى مِقْدَارِ كَسْبِهِ،{وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} أَيْ: لَا يُزَادُ فِي سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا يُهْضَمُونَ شَيْئًا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، وَتَأَمَّلْ حُسْنَ هَذَا الاحْتِرَازِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. لَمَّا ذَكَرَ عُقُوبَةَ الْغَال، وَأَنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا غَلَّهُ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ تَوْفِيَتَهُ وَجَزَاءَهُ، وَكَانَ الاقْتِصَارُ عَلَى الْغَالِّ يُوهِمُ –بِالْمَفْهُومِ– أَنَّ غَيْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَامِلِينَ قَدْ لَا يُوَفَّوْنَ –أَتَى بِلَفْظٍ عَامٍّ جَامِعٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ}.



•ثَالِثًا:السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ وَحِفْظُ الْمَالِ الْعَامِّ:

•وَرَدَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَحُثُّ عَلَى إِتْقَانِ الْعَمَلِ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ حِفْظًا لِلمَالِ وَتَنْمِيَةً لَهُ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٠٠٣)مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:{مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا،فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ،أَوْ إِنْسَانٌ،أَوْ بَهِيمَةٌ،إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ}.

–فَمَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُتْقِنُ عَمَلَهُ وَيَقُومُ بِعَمَلٍ نَافِعٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ.وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فَضْلِ الزِّرَاعَةِ، وَالْعَمَلِ بِالْحَرْثِ.وَفِيهِ: الْحَضُّ عَلَى عِمَارَةِ الْأَرضِ لِيَعِيشَ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ، أَوْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِمَّنْ يُؤْجَرُ فِيهِ.

(٢)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو يَعْلَى–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(٣٤٩/٧)وَحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ لِشَوَاهِدِهِ بِرَقَمِ(١٨٨٠)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتقِنَهُ}.

(٣)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجه–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٤٤٣)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجه بِرَقَمِ(١٩٩٥)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ– رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ}.

–لَقَدْ نَظَّمَ الشَّرْعُ الْحَكِيمُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَمَلِ وَالْمُؤَاجَرةِ، وَحَثَّ عَلَى إِعْطَاءِ الْحُقُوقِ للعُمَّالِ وَالْمُسْتَأْجِرِينَ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى إِيفَاءِ حُقُوقِ الْأُجَرَاءِ وَعَدَمِ مُمَاطَلَتِهِمْ فِي حُقُوقِهِمْ حِرْصًا عَلَى إِتْقَانِ الْعَمَلِ.وَفِيهِ: أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ ضَمِنَ للعَامِلِينَ حُقُوقَهُمْ وَتَوْفِيرَ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ لَهُمْ.

(٤)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْمُنْذِرِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ بِرَقَمِ(١٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ،وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ ،وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُم}.

–فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُعَلِّمُنَا النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّ النَّاسَ لَا تَتَفَاضَلُ بِحُسْنِ الْمَظَاهِرِ أَوْ كَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِطَهَارَةِ الْقُلُوبِ، وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ،وَالسَّعْيِ فِي الْأَعْمَالِ الصالحةِ.

(٥)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِرَقَمِ(٧١٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةً فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا}.

–شَجَّعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى إِعْمَارِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا، كَمَا رَغَّبَتِ الْمُسْلِمَ لِيَكُونَ إِيجَابِيًّا فِي كُلِّ أَحْوَالِه، وَأَنْ يَكُونَ نَافِعًا لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِه، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى كُلِّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ وَالنَّفْعِ للغَيْرِ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَرَ الْفَاعِلُ ثَمَرَتَهُ، كَمَا قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: {إِنْ قامَتِ السَّاعَةُ }، أَيْ: إِذَا ظَنَّ أَحَدُكُمْ ظَنًّا أَكِيدًا أَنَّ الْقِيَامَةَ بِأَشْرَاطِها وَمُوَاصَفَاتِهَا قَدْ قَامَتْ {وفِي يَدِ أَحَدِكُم فَسِيلَةٌ}، أَيْ: نَبْتَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ النَّخْلِ،{فإِنِ اسْتَطاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا}، أَيْ: يَزْرَعُهَا فِي التُّرْبَةِ، وَلَا يَتْرُكُ عَمَلَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ، وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ وَحَثٌّ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ حَتَّى فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ، وَلَوْ ظَنَّ صَاحِبُهُ انْعِدَامَ الانْتِفَاعِ بِهِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ غَرْسُ الأَشْجَارِ وَحَفْرُ الْآبَارِ لتَبْقَى الدُّنْيَا عَامِرَةً إِلَى آخِرِ أَمَدِهَا، فَكَمَا غَرَسَ غَيْرُكَ مَا شَبِعْتَ بِهِ؛ فَاغْرِسْ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى فَضْلَ الغَرْسِ وَالزَّرْعِ، لِمَا فِيهِ مِنْ إِطْعَامِ النَّاسِ وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَوْفِيرِ الْأَقْوَاتِ،وَكَمَا يَدُلُّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى

أنَّ عَمَلَ الإنْسَانِ الْخَيْرَ بِيَدِهِ أَمْرٌ مَحْمُودٌ.وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَضُّ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ الْعَمَلِ فِي الْخَيْرِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْعُمُرِ .



•كَمَا حَذَّرَتِ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ مِنْ أيِّ نَوْعٍ مِنْ أنْوَاعِ الاعْتِدَاءِ عَلَى الْمَالِ سَواء كَانَ الْمَالُ عَامًّا أوْ خَاصًّا،فَالْحَيَاةُ الْآمِنَةُ فِي ظِلِّ تَطْبِيقِ الْعَدْلِ،بَيْنَمَا الْمَحْسُوبِيَّة وَالطَّبَقِيَّة والظُّلْم هَلَاكٌ وَخُسْرَانٌ وَهَدْمٌ للمُجْتَمَعَاتِ،فَفِي صَحِيحِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بِرَقَمِ(٤٣٠٤)مِنْ حَدِيثِ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-: أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَقَالَ: {أتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟! قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ خَطِيبًا، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَوْ أنَّ فاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا. ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَقُطِعَتْ يَدُها، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتزَوَّجَتْ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فأرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- }.

•كَمَا أوْجَبَتِ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ الضَّمَانَ عَلَى مَنْ أتْلَفَ مَالَ غَيْرِهِ،-فَقَدْ أخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برَقَمِ(٤٤٠٦) وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١٦٧٩)مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْع بْن الْحَارِثِ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ

كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ،ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ- وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يومِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ -فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ: صَدَقَ مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ}.فَقَوْلُهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ- وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يومِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ}.بَيَانٌ لِضَمَانِ مَالِ الْغَيْرِ عَلَى مَنْ أَتْلَفَهُ.



•وَحَذَّرَتِ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ مِنَ الاعْتِدَاءِ عَلَى الْمَالِ الْعَامِّ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ،كَالاخْتِلَاسِ، وَاسْتِغْلَالِ الْمَنْصِبِ وَالْوَظِيفَةِ للمَصْلَحَةِ الذَّاتِيَّةِ، وَهَذَا كُلُّهُ فَسَادٌ وَخِيَانَةٌ للأَمَانَةِ، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْ يَسْتَغِلُّ مَنْصِبَهُ وَعَمَلَهُ فِي اسْتِجْلَابِ مَنَافِعِهِ الْخَاصَّةِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرقَمِ(٧١٧٤)وَمُسْلِمٌ بِرقَمِ(١٨٣٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُمَيْد السَّاعِدِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-رَجُلًا مِنَ

الْأَسْدِ، يُقَالُ له: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ، قَالَ عَمْرٌو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقالَ:{مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ}.فَهَدَايَا الْعُمَّالِ حَرَامٌ؛ لأَنَّهَا طَرِيقٌ يُوَصِّلُ إِلَى تَضْيِيعِ الْأَمَانَةِ بِمُحَابَاةِ الْمُهْدِي لأَجْلِ هَدِيَّتِهِ.وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣١١٨)مِنْ حَدِيثِ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيَّةِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا– قَالَتْ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،يَقُولُ:{إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

وَفِي الْحَدِيثِ:بَيَانُ أَنَّ الْأَمْوَالَ الْعَامَّةَ لَيْسَتْ مَرْتَعًا لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ عَلَيْهَا؛ لأَنَّهُ سَيُحَاسَبُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.وَفِيهِ: رَدْعٌ لِلْوُلَاةِ وَالْأُمَرَاءِ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ مَالِ اللهِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَلَا يَمْنَعُوهُ مِنْ أَهْلِهِ.



•{تَبْصِرَةٌ}

•هَذَا وَلَا يَشُكُّ عَاقِلٌ فِي أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ حَقٌّ فِي الْمَالِ الْعَامِّ، وَأَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَهُ مِلْكًا لَهُمْ، وَأَنَّ مَنِ اؤْتُمِنَ عَلَى هَذَا الْمَالِ، فَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِسَخَطِ اللهِ تَعَالَى.

•وَبَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مِلْكٌ للمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، وَلَيْسَ مِلْكًا لِفِئَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَالْقَائِمُونَ عَلَيْهِ إِنَّمَا هُمْ أُمَنَاءٌ فِي حِفْظِهِ وَتَحْصِيلِهِ، وَصَرْفِهِ لأَهْلِهِ، فَلَا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهِ، أَوْ يَأْخُذَ مِنْهُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ، وَلَوْ فُرِضَ وُجُودُ مَنْ يَغُلُّ مِنْهُ وَيَعْتَدِي، فَإِنَّ ذَلِكَ لا يُبِيحُ مُشَارَكَتَهُ فِي هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، وَلَوْ جَازَ نَهْبُ مَالِ الدَّوْلَةِ وَسَرِقَتُهَا بِحُجَّةِ الْأَخْذِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، لَحَصَلَ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ،وَعَمَّ الظُّلْمُ وَالْبَغْيُ، وَلَبَاءَ الْجَمِيعُ بِإِثْمِ الْخِيَانَةِ؛ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الْخِيَانَةِ فِي الْمَالِ الْعَامِّ، فَإِنَّ هَذَا ظُلْمٌ وَاعْتِدَاءٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.

•وَيَنْبَغِي للقَائِمِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِهَذَا الْمَالِ، وَأَنْ يَجْعَلَ قَوْلَ الْفَارُوقِ عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–دَلِيلَهُ فِي حِفْظِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ: {إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللهِ مَنْزِلَةَ الْيَتِيمِ، إنِ اسْتَغْنَيْتُ مِنْهُ اسْتَعْفَفْتُ، وَإِنِ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ}،(انْظُرْ:الأشْباه والنّظائر لأبِي نُجَيْم ج:١ ص:٣٧٠).



•هَذَا وَلَقَدْ شَدَّدَ الشَّرْعُ فِي حُرْمَةِ الْأَخْذِ مِنَ الْمَالِ الْعَامِّ لأَسْبَابٍ مِنْهَا:

(١)أنَّ الْمَالَ الْعَامَّ تَتَعَلَّقُ بِهِ ذِمَمُ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ، فَمَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ الْعَامِّ – سَرِقَةً وَاغْتِصَابًا وَنَهْبًا وَرِشْوَةً – فَكَأَنَّمَا سَرَقَ مِنْ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ.

(٢)أنَّ الَّذِي يَسْرِقُ الْمَالَ الْعَامَّ يَسْرِقُ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي بِهَا حِمَايَةُ الْمُجْتَمَعِ مِنَ الْمَجَاعَاتِ وَالْأَزَمَاتِ؛ لأَنَّهُ يُخَرِّبُ فِي مَالِ نَفْسِهِ؛ لأنَّ الْمَالَ الْعَامَّ كُلُّ وَاحِدٍ لَهُ نَصِيبٌ فِيهِ، فَمَنِ اعْتَدَى عَلَى هَذَا الْمَالِ وَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا دُونَ وَجْهِ حَقٍّ، فَكَأَنَّمَا سَرَقَ مَالَ نَفْسِهِ.

•نَسْأَلُ اللهَ أنْ يُجَنِّبَنَا الْمَكَاسِبَ الْمُحَرَّمَةَ، وَأنْ يَحْفَظَنَا عَنِ الْحَرَامِ أيًّا كَانَ، اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَفَرِّجْ كَرْبَ أهْلِنَا فِي فِلَسْطِينَ،وَاجْعَلْ بَلَدَنَا مِصْرَ أمْنًا أمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَصَلِّ اللهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأتْبَاعِهِ وَسَلِّمْ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

